النخبة ودورها الحضاري في بلاد الرافدين

أ.م.د. حسين سيد نور الاعرجي
جامعة واسط – كلية التربية

الطالب– مصطفى كاظم سهل الغزي
جامعة واسط – كلية التربية

البحث مستل من رسالة الماجستير للطالب مصطفى كاظم سهل

مقدمة:

قبل الولوج إلى تفاصيل الموضوع وحيثياته، لابد من التنويه بأنه لم ينل موضوع النخبة نصيباً وافراً من البحوث والدراسات التاريخية الآثارية والأنثربولوجية المتخصصة، لذا من الصعب جداً على أي باحث أن يبحث في مثل هذا، ويتوجب عليه الرجوع إلى مصادر ودراسات من علوم متعددة ولغات مختلفة بغية الخروج بمحصلة ونتيجة مرضية.

يتوجب علينا أن نبحث في محاور هذه الدراسة في علاقة الفرد بالمجتمع والعكس، وتشخيص دورهما الحضاري، وتحديد ماهية النخبة وبدايات تبلورها وأسبابها ونتائجها، ودورها الأبرز في قيادة المجتمع نحو إظهار الاستجابات المُثلى وبالتالي انتقاله من حالته البدائية في عصور ما قبل التاريخ المبكرة إلى مجتمع متحضر ومؤسس لأولى الحضارات الأصيلة، ومن ثم العمل على مواصلة تلك الاستجابات الإنسانية بغية إدامة الزخم الحضاري المطلوب.

Abstract

"The Elite and Their Role of Civilization in Mesopotamia" The subject included a brief introduction gave a mattress to the topic, as well as two main definitions of elite; (creative class) and what elite is and the beginnings of the appearance and historical development and leadership role within the community and continuing contributions to civilization.

The material has imposed using of multiple science curriculum to address the topic via its different aspects and that we used several books in different languages like

various natural and human challenges in their lives and stands as an obstacle in the way of development and growth of civilization, as well as the leading role of the elite in the evolution different institutions within the community and to combine them all to establish governments.

Arabic and foreign sources in fields of history and archeology , geography , socioiogy , anthropological and philosophical studies

This research highlighted the elite within the community since its inception, and framed the role in organizing and leading members of the community to cope with

أولاً/ النخبة (Elite)(١):

لا تعد المرحلة البيولوجية بداية للتاريخ الإنساني، لأنها سبقت الوعي، وإن التاريخ والصراع الحضاريين يبدءان مع دخول الإنسان إلى المرحلة العقلانية الواعية القائمة على التجارب والخبرات الموروثة فضلاً عن النتاجات المتراكمة(٢). وبما أن الإنسان أحد أهم أركان الحدث التاريخي بعد الزمان والمكان، فهو صانع الأحداث ومسيرها ومدونها منذ امتلاكه الوعي الاجتماعي، ولولاه لما وجد التاريخ(٣). لذا فأن أهميته بالغة في الدراسات الاجتماعية، وتوازي أو تفوق أهمية المجتمع لدى بعض المتخصصين، وطالت الدراسات التي قارنت بينه وبين المجتمع لإيجاد العلاقة بينهما أو لترجيح كَفّة أحدهما على الآخر.

في الحقيقة لو أردنا تتبع مسألة العلاقة بين الفرد والمجتمع لوجدنا بداياتها تعود إلى العصور الأولى من حياة الإنسان على هذه الأرض(٤)، حيث ظهور الإنسان وعيشه بمجموعات جنباً إلى جنب مع أبناء جنسه (كونه كائن اجتماعي) يجد لذة في التجمع والارتباط(٥)؛ بغية تأمين الطمأنينة النفسية في مقابل الطبيعة المخيفة والغامضة التي يعيش في كنفها، فضلاً عن تحصيله لقوته اليومي عن طريق الجمع والالتقاط فضلاً عن صيد الحيوانات.لاسيما إن الإنسان الأول الذي عاش في مرحلة اللاوعي اعتمد كلياً على استعمال الجهد البدني والشجاعة في تحصيل قوته اليومي وتوفير مستلزماته الحياتية الأخرى (المسكن والملبس فيما بعد)، وبعد امتلاكه الوعي أصبح يسخر فكره لتسيير حياته، وبذلك قلل من جهده البدني المبذول (العشوائي)، أي

إنه دخل إلى مرحلة الإبداع والتغير الحضاري القائمة على محور الإفادة من التجارب الحياتية السابقة(٦). كما إن لعيش الإنسان بشكل مجموعات يوفر له حماية نفسه من أذى الحيوانات الضارية التي كانت تعيش على مقربة من أماكن سكناه الأولى. إن بدايات اهتمام العلماء الاجتماعيين بالفرد كحقيقة وظاهرة اجتماعية مدركة، والمجتمع بوصفه وحدة عضوية، جاء من خلال الدراسات الاجتماعية.

إذ مع نشأة علم الاجتماع ظهرت جدلية علاقة الفرد بالمجتمع(٧). إذ انقسم المنظرون الاجتماعيون على فريقين حول حقيقة تلك مسألة، الأول يقول: "إن الفرد هو الحقيقة الموجودة المدركة، وإن المجتمع ليس إلا مجموعة من الذرات البشرية" والثاني يرى "إن الحقيقة هو المجتمع، ذلك الكل العضوي، وإن الأفراد ليسوا سوى أجزاء لا يمكن تصورهم غير خلايا فيه"(٨). وإن وجود الفرد متوقف على تواجد المجتمع، الذي انبثقت من خلاله الثقافة وتأصلت جذورها(٩).

أما توينبي فقد أكد على منظومة العلاقات المجتمعية المتشابكة بين الأفراد، وبَيّن أن الأفراد مجموعة من الحيوانات الاجتماعية، وأن وجودهم غير مرتبط بقيام منظومة علاقات مجتمعية(١٠)؛ حركية دافعة(١١)، فيما بينهم تنشأ من أتفاق مجالات عملهم الشخصية، فتنتج المجتمعات بصورها المختلفة،وإن تلك المجتمعات تقاد وتنمو وتتقدم بواسطة مجموعة من الأفراد المنتمين إليها، لكنهم متسامين عليها في أمور كثيرة(١٢). فهم أصحاب الدور الأكبر في الإجابة على التحديات التي تواجه الحضارة(١٣). إذ كانت لهم الأسبقية في قيادة مجتمعاتهم وصنع تاريخها وبناء حضاراتها(١٤). لكن أي الأفراد هؤلاء ؟ وما هي مميزاتهم عن باقي أفراد المجتمع؟ ومن أين جاؤوا إلى المجتمع ؟وكيف يتسنى لأشخاص قلائل القيام بادوار كبيرة في المجتمع ؟ وما هو تطورهم التاريخي في بلاد الرافدين ؟

هؤلاء الأفراد هم الشخصيات الخلاقة أو النخبة العبقرية أو الصفوة المبدعة(١٥)، الذين يتمتعون بمؤهلات وقدرات طبيعية أو غير طبيعية (تم اكتسابها عبر الزمن)(١٦)، إذ بوسعهم القيام بأعمال مختلفة تتراءى للناس على إنها معجزات(١٧)، وعبقريتهم ميزتهم عن باقي أفراد المجتمع.إذ وسعوا مدركات الذكاء الإنساني، ولم يبقوا ساكنين ضمن منظوماتهم المجتمعية، بل أظهروا أفكارهم(١٨). تدفعهم إلى ذلك غريزة الفرد والمجتمع للعيش، وحاجة كل منهما إلى الآخر ليستمروا في الوجود(١٩). ويقول جايتانو موسكا (Gaetano Mosca)(٢٠): "يجب النظر إلى أي نخبة باعتبارها تُألف من أولئك الذين يشغلون قمة المواقع في الترتيب الهرمي للقيادة"(٢١).

النخبة ليسوا ملائكة أو نفرٌ من الجن، بل هم من وسط المجتمع، ينتمون إليه بكل تفاصيله، لكن يتسامون عنه بقدراتهم الخلاقة وذكائهم وحنكتهم، لذا مركزهم يأتي في قمة الهرم الطبقي(٢٢)، داخل كل مجتمع.هم الفئة الراقية المالكة للنفوذ والقوة والامتيازات الطبيعية والمكتسبة عبر الزمن(٢٣)، إنهم أشخاص متفردون وليس فردانيون، يقومون بأعمالهم ومهامهم على أحسن وجه داخل النظام الاجتماعي(٢٤)، من دونهم لا تسير المجتمعات مهما كانت بسيطة أو معقدة، ذلك لأن نواحي النشاط التي تكون الحياة اليومية للناس تتطلب التوجيه، كذلك لا تستمر الثقافات في تقدمها على أساس عشوائي، لأن الاتجاهات والمعتقدات تتطلب حماية وتعزيزاً دائماً، إذ لابد أن تكون جهة موجودة وقائمة لإصدار القرارات يناط بها بعض الأفراد في كل مجتمع، ووضع القرارات والقوانين وما يتصل بها من إجراءات(٢٥). ويرى توينبي أن عملية الانقياد الاجتماعي من قبل الأكثرية الاجتماعية غير المبدعة وراء النخبة تحصل في المجتمعات البدائية، اعتقاداً منهم بمحاكاة أسلافهم القدماء(٢٦). وإن أكثر الأفراد شجاعةً من أصبح زعيماً لمجتمعه(٢٧).

"يُثبت التاريخ أن كل تقدم مَدِينٌ لتلك الصفوة القليلة العدد فيما يتم من التقدم للعلوم والفنون والصناعة، أي لجميع فروع الحضارة"(٢٨). وهذا ما يراه توينبي من حيث إن المجتمع ميدان الفعل الحضاري، والنخبة المبدعة مصدر ذلك الفعل، عن طريق تهيئة المجتمع لنفسه، في أن تصيبه الرجّات التي يحدثها الشخص المبدع، وهنا يقترب توينبي في منظوره عن النخبة المبدعة، من فكر "توماس كارليل" وتفسيره البطولي للتاريخ، من حيث دور العناية الإلهية في اصطفاء الأبطال وبعثهم(٢٩). وعلى هذا الأساس يكون توينبي قدّر الجماعة والفرد وأوجد السبيل بينهما.

لكن كيف يتسنى لأشخاص قلائل القيام بأدوار كبيرة في المجتمع، وقيادته إلى من الميدان البدائي الضيق إلى ميدان الحضارة الأوسع أفقاً ؟ لا بل هؤلاء الأشخاص القلائل يتمتعون بمكانة سلطوية عالية في المجتمع، ويملكون الحق في إصدار القرارات ذات التأثير الكبير بين أفراد المجتمع(٣٠).

إن الأقليات المبدعة تقوم بعملية "الانسحاب والعودة"، أي إنهم يغرقون بالوحدة ليصارعوا الأحداث بمفردهم، ومن ثم يعودون محملين بالقوة التي تجعل منهم قادة للمجتمع نحو مواجهة التحديات، وإن تلك الأقليات المبدعة (قد تكون شخصاً واحداً)، تحدد الفرق بين الحضارة الناجحة والفاشلة(٣١). ومن الجدير بالذكر إن تلك الحالة (الانسحاب والعودة)، لم تحدث مع النخبة في التاريخ العراقي القديم، من خلال ما توفر لدينا من أدلة تاريخية.

يقع على عاتق الصفوة المبدعة اختيار الفرصة المواتية لإظهار قدراتهم المتسامية

وتفوقهم الاجتماعي، كذلك اختلاق الوسائل المناسبة لحمل الأكثرية غير المبدعة على الالتحاق بركبهم المبدع، وعلى الأكثرية اقتفاء أثر النخبة ومضاعفة الجهود، لمواصلة العمل الديناميكي الذي شرع به المبدعون، وهذا عامل ضروري لوصول المجتمعات إلى الحالة الحضارية المطلوبة(٣٢). ولاسيما إن الإنسان كائن اجتماعي، "وإن محدوديته الاجتماعية تحد من تكنولوجيته اللامحدودة"(٣٣).

ارتبط نجاح المجتمعات وانتقالها من مرحلة السكون والهمجية ووصولها إلى الحركة الحضارية. بمدى نجاح الأشخاص المبدعون وفشلهم(٣٤). لأنهم المسئولون عن تحديد نوع الاستجابة ومستواها ونشوء الحضارات ونموها وارتقائها وصولاً إلى انهيارها وانحلالها، وإن الأكثرية غير المبدعة أدوات طيّعة بيد المبدع يستخدمها كأدوات لتدعيم عمله الحضاري المتواصل(٣٥)، ويحصل تدهور الحضارات، بتخلي النخبة عنها(٣٦)،

ثانياً/ التطور التاريخي للنخبة ودورها الحضاري في بلاد الرافدين:

أن النخب أنواع وأصناف متعددة، فكل مجال من مجالات الحياة فيه مختصين ومن بين هؤلاء المختصين تظهر النخب، فالجوانب الدينية لها نخبتها والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية...إلخ كلٌ له نخبته، وسنقتصر على دراسة النخبة الاجتماعية في العصور المبكرة لبلاد الرافدين، ومن ثم صيرورتها إلى نخبة سياسية قيادية، تأخذ على عاتقها قيادة الاستجابات الإنسانية بوجه التحديات (البيئية والبشرية)، التي تقف حجر عثرة في مسيرة الحضارة العراقية القديمة.

نواجه صعوبات جَمّة في دراسات ما قبل التاريخ إذا ما أردنا الحصول على وصفٌ دقيق لأحوال المجتمعات(٣٧)، إذ لا توجد وسيلة لإعادة تشكيل الصور الاجتماعية لعصور ما قبل لتاريخ وتبويبها(٣٨)، وتعد البحوث والدراسات الأثرية المصدر الرئيس لدراسة وفهم وتفسير عصور ما قبل التاريخ(٣٩)، ويمكن تتبع تطور النخبة في عصور ما قبل التاريخ من خلال نظريات وفرضيات الباحثين

إذ نجد في المعتقدات الدينية للإنسان العراقي القديم، ما يشير إلى النخبة ولو بشكل خفي. حيث يضم الفكر الديني العراقي القديم ما يعرف بمجمع الآلهة(٤٠)، الذي يتكون من مجموع من الآلهة يأتي على قمتهم الإله "آنو" إله السماء، كبير مجمع الآلهة، ورمز السلطة الكونية، ومشرع القرارات والأوامر الإلهية التي تَلزم الآلهة والبشر بالطاعة والتنفيذ من دون شرط(٤١)، والترنيمة الآتية تبين عظمة آنو وسلطته:

"أمير الآلهة، الذي كلمته هي السلطة في مجمع الآلهة الكبار

سيد التاج العظيم المزدحم ببهاء سائد، أنت الذي يمتطي الأعاصير الكبيرة

ترق أذن الـ (إكيكي)(٤٢)، لسماع حِكَمكَ العظيمة
ولا تقترب منك الـ (آنوناكي)(٤٣)، بمجموعها إلا وهي مرتجفة على صوتك
تخر كل الآلهة ساجدة مثل نبات القصب تحت رحمة الريح العاصفة"(٤٤)،

في أعماق الأساطير، ومنها تلك الترنيمة الأسطورية، نستقي الكثير مما هو أساسي في التفكير والسلوك البشري، التي تعكس الحاجة الإنسانية إلى النظام، الذي يقوم على أساسين جوهريين هما: (السلطة والقسر)، وبما إن الإنسان العراقي القديم شبه كونه بالدولة، فعليه إذاً أن يبحث عن تواجد عنصر القوة الإلهية بغية وصول الكون إلى دور الدولة الدنيوية، هكذا رأى الإنسان العراقي القديم مجتمعه البشري، وسعى لإيجاد رابط كوني بين حكم الآلهة وبين السلطة الشرعية والقوة على الأرض(٤٥)،

أما الجذور التاريخية للنخبة في تاريخ بلاد الرافدين، فتبدأ منذ وقتً مبكر. فالإنسان حيوان اجتماعي، عاش حياة اجتماعية ميزته عن باقي الكائنات الأدنى منه(٤٦)، وهو بحاجة إلى من ينظم علاقاته مع باقي أفراد جنسه وفق سياقات معينة(٤٧)، لأن الفوضى في المجتمعات البدائية كانت عامة(٤٨)، وبالتالي لا يمكن للمجتمع أن يبقى ويستمر دون أن يكن هناك ضابط ما لاندفاعات الإنسان الغريزية، ومن هنا تبلورت "الحكومة"، التي في حقيقتها هيئة تفرض نظاماً أمنياً على الجماعة، أياً كان حجمها (صغيرة أم كبيرة)، والعائلة هي أول وأبسط أشكال الحكومة، التي تضمن الانتظام الاجتماعي في بداياته، على اعتبار أن العائلة تمثل الخلية الاجتماعية الأولى والوعاء الأول للخصائص السلطوية التي تكون جوهر الحكومة، ويصان ذلك التنظيم بواسطة العادات والتقاليد السائد في وسط تلك الجماعة(٤٩).

العائلة تنظيم حكومي مصغر، مهمته الأولى تنظيم علاقات الأفراد الجنسية والعاطفية والمسؤوليات والواجبات المختلفة ووضع قوانين ومحددات عرفية يسير وفقها الفرد المنتمي لتلك العائلة، ومن يخلف تلك الأعراف أو القواعد يتعرض إلى عقوبات صارمة يفرضها ذلك النظام، بُغية تحديد سلوكيات وأفعال الأفراد بما هو سائد من أعراف وتقاليد في وسط ذلك المجتمع الإنساني، وبذلك يكن وجود العائلة ملازماً لوجود السلطة أي تكون الحكومة، "وما دامت العائلة موجودة في كل مجتمع، فإن الحكومة قائمة أيضاً في كل مجتمع"(٥٠)،

لذا كانت النخبة في العصور المبكرة لحياة الإنسان، تتمثل في رؤساء الأسر الذين حازوا على السلطة لكبر سنهم أو قوتهم أو لما يمتلكون من مهارة(٥١). أي امتلكوا قوة ميزتهم عن باقي أفراد ذلك التنظيم (العائلة)، وبمرور الزمن تطور ذلك التنظيم فأصبح

نظاماً مشتركاً بين عدة عائلات، وأولئك الرؤساء تحولوا بشكل تدريجي إلى مجلس للقبيلة(٥٢)،

إذ يتفاعل البشر وبيئتهم الجغرافية وفق نمط يبلور الثقافة (Culture) داخل المجتمع، والثقافة تمثل النتاج المادي والمعنوي المتراكم من علاقات وتفاعل هؤلاء البشر في مكان معين وأزمنة مختلفة، وتتوارث الأجيال المتعاقبة ذلك الإرث الثقافي، وكل جيل يُعدل أو يُضيف في جوانبه المادية والمعنوية(٥٣)، وإن تفاعل أفراد الجماعة ونموها ونمو علاقاتها مع غيرها من الجماعات الأخرى أدت إلى نشوء تحديات وصعوبات، ساهمت بتثبيت سلطة زعيم الجماعة وتزايد مسؤولياته أو وظائفه، إذ ظهرت الحاجة إلى اجتماع زعماء العائلات أو الجماعات ليعالجوا شؤون عائلاتهم أو ليسووا نزاعاً حصل بين أفرادها، وتتيح تلك الاجتماعات الفرص لأحد الزعماء أو الشيوخ المشاركين لبراز شخصيته وتولي القيادة، فيصبح الاجتماع مجلساً ويتولى الزعيم رئاسته(٥٤)، لاعتبارات الكبر في السن والطاعة والاحترام والقوة والمهارة والخبرة في مواقف معينة(٥٥)، ليشكل نظاماً يفرض الأمن الداخلي ويوفر الدفاع الخارجي لذلك الكيان البشري الجماعي(٥٦)،

إن الشُحّ الاقتصادي مثل أهم التحديات التي واجهت المجتمعات البدائية، فكانت الاستجابة بظهور أشخاص من ذوي الإنجازات وصعودهم إلى السلطة(٥٧). ومن الجدير ذكره إن كل مجتمع إنساني بدائي أم متحضر كان، عرف السلطة بغض النظر عن أشكالها واستعمالاتها(٥٨)،

نتيجة للتحديات البيئية والبشرية التي واجهت المجتمع في بدايات تكوينه والتي تتطلب الحلول والمعالجات، لذا امتلك زعيم القبيلة السلطة (Authority)(٥٩)، والزعامة مُنذ العصر الحجري القديم(٦٠). لما يمتلك من خبرة تغطى على باقي أفراد الأسر(٦١)،

أخذ زعيم القبيلة على عاتقهإعداد أفراد القبيلة للصيد وينضم عمليات التبادل (التجارة بأبسط صورها)، ويرتب مهرجاناتها، يدبر لها دفاعاتها ضد أعدائها، ويعدها للحرب واغتصاب أسلاب قبائل مجاورة؛ كان ذلك الزعيم محاطاً بعدد من الحرس والخدم والمساعدين ورتبته تعلوا سائر شيوخ العشائر، وتتحدد صلاحياته بصورة تدريجية، "وتتكرس امتيازاته وترجح حصته من الغنائم، وتتقرر مراسيم شرفية خاصة برتبته، وبذلك يُعطي أول من تولى الرئاسة على ذلك النحو أمثولة، يكون للعادة دائماً فعلها في تحويلها إلى سابقة، وفي تطوير السابقة إلى مؤسسة"(٦٢).

هناك العديد من الفرضيات والنظريات التي جذرت لمفهوم النخبة في المجتمعات الإنسانية البدائية، فهناك نظريات تقول بأن المجتمعات البدائية كانت تعطي السلطة للزعيم فقط في أوقات الحرب، بينما يتقلد النفوذ والسلطة زمن

السلم الكاهن أو الساحر(٦٣). بينما هناك من يرى أن للمجتمعات رؤساء لإدارة شؤونها الدينية والدنيوية بصورة منفصلة(٦٤).

لَعَبَ النخبة في العصور الحجرية دوراً مشابهاً لدور الرئيس أو الحاكم في العصور التاريخية. إذ لم يكن المجتمع يرتكز على أسس سياسية، بل كانت أسسه ترتكز على القرابة والقبيلة، إذ كان كلام شيخ القبيلة أو الزعيم وأوامره تنفذ وتطاع من الجميع(٦٥)، ولم يكن في المجتمع قانون أو سلطة تحكمهم(٦٦)، وإنما كانت قوانينهم عبارة عن مجموعة أعراف وتقاليد اجتماعية متوارثة من الأسلاف إلى الأحفاد (قانون عرفي –Customary Law)، لذا كان الواجب عليهم تقديسها واحترامها(٦٧)، وهذا النوع من السلطة القائمة على الطاعة للزعيم دون الخضوع لنظام ما، يعرف بـ (السلطة المشخصة)(٦٨). المتأتية بواسطة (الانتخاب أو الاصطفاء الاجتماعي) لاسيما في العصور القديمة(٦٩).

"إن الدولة التي توصلت إليها الجماعات البدائية المشاعية المنتمية إلى قبيلة واحدة بهدف الحفاظ على مصالحها المشتركة وحماية نفسها من الأعداء الخارجيين تتقلد بدءاً من هنا وظيفة الإبقاء بالقوة على شروط وجود وسيطرة الطبقة الحاكمة ضد الطبقة المحكومة"(٧٠)،.

أزداد دور النخبة أهميةً في العصر الحجري الحديث (٩٠٠٠/٨٠٠٠ – ٥٦٠٠ ق.م) بعد صيرورة المجتمع إلى طور إنتاج القوت وتوفر فائض إنتاج، وتراكم الثروات التي جلبت معها التعقيد إلى حياة الإنسان، حيث ظهرت أولى أشكال النزاعات، التي تطلبت دفاع الإنسان عن أرضه وممتلكاته، لذا أصبح النخبة هم المسيطرين على الأمور الدينية والدنيوية دون باقي أفراد المجتمع(٧١)، إذ شكل اكتشاف الزراعة وإيجاد السكان نظاماً للري في السهل الرسوبي وممارستها على نحوٍ واسع ازدياداً في عدد السكان وتراكمت الثروات، فنمت المدن ونشأت الحكومات لإدارة شؤون الناس المختلفة(٧٢)،

إن تلك الحكومات امتداد للنخبة الاجتماعية التي قادت المجتمع في عصور ما قبل التاريخ.

كلما تقدمت الحضارة زاد التفاوت بين طبقات المجتمع(٧٣)، وإن تضخم عدد السكان وازدياد الضغط السكاني فضلاً عن تراكم الثروات أدى إلى ظهور التمايز الطبقي بين أفراد المجتمع(٧٤). وهذا بدوره عزز دور النخبة والقيادة داخل المجتمع، وتطلب ظهور الدولة(٧٥)، أو السلطة السياسية. لاسيما إن أي مجتمع لا تسير نواحي نشاطه اليومي من دون توجيه، كذلك لا تستمر الثقافات في سيرها على أساس عشوائي، لأن الاتجاهات والمعتقدات تتطلب حماية وتعزيزاً دائماً، إذ لابد أن تكون جهة موجودة وقائمة لإصدار القرارات يناط بها بعض الأفراد في كل

مجتمع، ووضع القرارات والقوانين وما يتصل بها من إجراءات(٧٦)، وبما إن النخبة تمتلك القوة والنفوذ، لذا هيمنت على السلطة السياسية(٧٧)، حال نشوؤها في بلاد الرافدين بعد حصول التطور التاريخي والحضاري.

تنبثق السلطة السياسية من المجتمع وتعلو عليه، لتمارس دورها في إصدار الأوامر وضمان الطاعة ، وبلاد الرافدين على امتداد عصورها التاريخية لم تشهد وجود هكذا نوع من السلطة(٧٨)، إذ كانت السلطة السياسية في بلاد الرافدين ذات تشكيلٌ اجتماعي(٧٩)، ومن الصعب جداً التعرف على وجود تلك السلطة الاجتماعية، وهذا مرده إلى أنها وجدت قبل اختراع الكتابة كوسيلة للتدوين، لكن المرحلة التاريخية اللاحقة حفظت لنا بعض البقايا والشواهد التاريخية على وجود السلطة الاجتماعية(٨٠)، إذ يقدم ثوركلد جاكوبسن (Thorkild Jacobsen) بعض الأدلة على إن "الديمقراطية البدائية" (Primitive Democracy)(٨١)، كان شكل الدولة السائد في بلاد الرافدين حين نشوء الحضارة(٨٢)، (ويقصد بنشوء الحضارة – أي ظهور المدن)(٨٣)، حوالي منتصف الألف الرابع ق.م(٨٤)، والمدن تعد نقطة تركز السلطة والثقافة داخل أي مجتمع(٨٥)،

إن "مفهوم الدولة الكونية" أهم دليل استند إليه جاكوبسن على وجود "الديمقراطية البدائية"(٨٦)، التي هي في حقيقتها انعكاس لصورة الدولة الفعلية(الدولة البشرية) على الأرض،فتبلورت عن نمط السلطة البشرية السائدة "الديمقراطية البدائية" في زمن مبكر، نمت وتطورت ضمن مستوى الفكر السياسي للإنسان العراقي القديم(٨٧)،

نقلت الأزمات الحادة والحروب المجتمع البدائي وطورته إلى تنظيم سياسي(٨٨)، فضلاً عن التغيرات الحضارية المختلفة التي حصلت في بلاد الرافدين، أدت إلى تعرية بنية المجتمع القائمة على صلة القرابة في عصور ما قبل الدولة(٨٩). ونقلته (أي المجتمع) إلى وضع آخر أكثر تنظيماً، أُكد فيه أن المسكن من يحدد علاقات الإنسان والمدينة، إذ لا تعترف بالسلطة الخارجية(٩٠). أي أن المجتمع انتقل من صلة الدم إلى رابطة الأرض، وهي ثورة عظيمة بحد ذاتها(٩١).

أما عن آلية إدارة السلطة، فإن السيادة تدار من قبل مجلس(٩٢)، يضم المسنين (الشيوخ) بالسومرية (AB.BAURI)، وبالأكدية (شيبوت آلِم/šîb ˆt lim)، وآخر للمواطنين الأحرار (المحاربين) (كوروش اورو/ GURUŠ URU)(٩٣)، بينما لم يكن للعبيد والأطفال والنساء صوتاً فيتشكّل الديمقراطية البدائية(٩٤). وكان رأي المسنين (الشيوخ) أثقل وزناً من رأي الآخرين(٩٥)، ويعتقد أن هناك رئيس للمجلس يشرف على النقاش، وبدوره يخاطب الملك نيابةً عن المجلس(٩٦). الذي يجتمع ليقرر الإجراءات والحلول التي

يجب اتخاذها في الحالات الطارئة (التحديات البيئية والبشرية)، وكان نظام المجلس قائم على حصول الإجماع على قرارٌ ما (إذ لم يعرفوا أسلوب أخذ رأي الأغلبية)، وكان أكثر القرارات اتخاذاً في المجلس تُمثل باختيار شخص يدعى السيد (EN)(٩٧)، إذ يقوم بوظائف دينية بالدرجة الأولى ويسكن في مكان يدعى اكيبار (Egipar)، لكن سرعان ما اخذ يشرف على بعض الأعمال الدنيوية(٩٨). وصار حاكماً دائمياً لكنه ليس مطلقاً وهذا ما نستشفه من كلكامش (Gilgames)، أين (EN) مدينة الوركاء، الذي استشار مجلس الشيوخ والمحاربين على مرحلتين، بغية خوض الحرب مع اكا (Agga) حاكم مدينة كيش(٩٩). ويعلق توينبي على هؤلاء الحكام قائلاً: "كان هؤلاء الحكام يقومون بدور الوسيط بين الجماعة والآلهة، وكان الاعتقاد الشائع بقدرة الآلهة وحكمتها تتمثل بالقوة الروحانية التي تحفز المسهمين في دولة المدينة السومرية (Sumerian city-state)"(١٠٠). إذ كان لكل دولة مدينة كيان قائم بحد ذاته(١٠١)، يمتلك كل مقومات الدولة، من قوة وتمويل ذاتي وسور(١٠٢). وحاكم مستقل عن غيره ونظمها وقوانينها، وإله حامي ومعبد ونظام كهنوتي(١٠٣). إي أن دور حكماء سومر لم يقتصر على الجانب المادي للحضارة، بل شمل الجانب الروحي أيضاً(١٠٤).

وعلى هذا الأساس حدث تغيراً في بنية النخبة وطبيعتها في بلاد الرافدين، فبعد أن كان الشيخ الكبير في السن من يقود المجتمع ويسيطر عليه، أصبح رجال السلطة الدينية الناشئة قادة المجتمع. إن تدرج الإنسان العراقي القديم في بدايات العصر الحجري المعدني (٥٦٠٠ – ٣٥٠٠ ق.م) من المناطق الشمالية باتجاه منطقة الوسط. ومن ثم الاستقرار على أرض السهل الرسوبي ذو الأرض والبيئة الصعبة(١٠٥)، تم على شكل مراحل وبخطوات حذرة من قبل الإنسان العراقي القديم. "كان أول القادمين شراذم صغيرة من المغامرين، اندفعت إلى تشييد أكواخها المتباعدة عن بعضها، والقرى الصغيرة في البقاع المتخلفة عن المستنقعات بعد جفافها، وخاصة في الجزر المرتفعة التي تجعلها بمنجاة من خطر الفيضان"(١٠٦)، المستديم.وبعد الزيادة في الكثافة السكانية. بدأ التنظيم الاجتماعي ذو الصفة القبلية يأخذ طابعاً متميزاً، عن طريق اتخاذ كل قبيلة لرقعة أرض مستقراً لها، ويرأسها شيخ لتنظيم شؤونها(١٠٧)، وقد بَذَلَ أولئك السكان الأوائل جهوداً جبارة في سبيل درء الأخطار البيئية، عن طريق إنشاء السدود الواقية وشق الجداول والقنوات إلى الأراضي المنخفضة لغرض تصريف الزائد من المياه حين ارتفاع مناسيبها أوقات الفيضان(١٠٨)، وكان للنخبة دورها الريادي في ذلك، من خلال قيادة وتوجيه

المجتمع. وإنشاء حضارة مبكرة، حتى أُطلق على هذه البلاد "مهد الحضارة"(١٠٩).

إن استغلال المجتمع السومري لغرين نهري دجلة والفرات في الزراعة، وفر لديهم فائض في الإنتاج، وبذلك كانوا أول مجتمع يصل إلى حالة الاكتفاء الذاتي وتوفير فائض سنوي(١١٠)، إذ تعاملوا مع ذلك الفائض بطريقة أنتجت الفارق الاقتصادي وبالتالي ظهور نظام الطبقات الاجتماعي.إذ امتلكت الأقلية الموجهة في المجتمع (النخبة)(١١١)، ذلك الفائض لتتمتع به جزاءً لها على جهودها المبذولة ووقتها المخصص لخدمة المجتمع وتخطيطها في قيادة الجهود الإنسانية نحو الاستجابة الحضارية، التي نقلتهم من حياة العصور الحجرية إلى حياة مدنية ليس لها مثيل في التعقيد(١١٢). إذ إن تطور أشكال الحياة الاقتصادية انعكست نتائجه على المجتمع، فأصبح أكثر تعقيداً من ذي قبل، الأمر الذي أوجد خلافات ونزاعات بين أفراد الجماعة، فازدادت الحاجة إلى وجود الأشخاص من ذوي الخبرة المكتسبة من الحياة العملية لغرض الفصل بين المتنازعين وفرض إرادة الجماعة على الأقلية من المخالفين، ومن هنا بدأت تلك الفئة القليلة تمارس المهام الموكلة إليها، وبمرور الزمن ترسخ في أذهان المجتمع ذلك الوضع القائم، ويمكن عد تلك المرحلة الشاهد على ميلاد السلطة السياسية الفعلية(١١٣)، في الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين(١١٤)،

مع بداية الألف الثالث ق.م (عصر فجر السلالات)، حصل انفصال في بين السلطتين الدينية والدنيوية، وظهرت السلطة المدنية بدلاً عن سلطة الأين (EN) الدينية(١١٥)، إذ كانت البلاد تتألف من مجموعة مدن، وتتبع كل مدينة مجموعة قرى، وحسب الفكر العراقي القديم إن لكل مدينة إلهها الخاص، وتعد تلك المدن مزرعة للإله يشرف على العمل فيها مجموعة من الآلهة الصغار، تأتي مراتبهم على شكل هرمي، أما من يعمل في مزرعة الإله فهم البشر(١١٦)، الذين خُلقوا لخدمة الآلهة(١١٧)، وكما نقرأ في النص التالي:

"وعليها (أي البشرية) أن تعمل إلى الأبد على تثبيت قنوات الحدود

وأن نضع في يدها المعول وسلة العمل"(١١٨)،

إذ ينتظم الناس على شكل هرمي، أعلاهم مرتبة مدير مزرعة الإله، الذي يمثل قمة الهرم في دولة المدينة البشرية، ويسمى أنسي (Ensi)(١١٩)، وكان يعنى بالعمليات الزراعية، أما الواجبات الدينية فقد كلف فيها كاهن أو كاهنة خاصة(١٢٠)، بينما يشير ثوركلد جاكوبسن إلى أن الأنسي كان مسئولاً عن إدارة معبد الإله ومزرعته ويمثل أعلى سلطة قانونية، ومن واجباته تحقيق الأمن والنظام وإحلال العدل والإنصاف، وهذا ما

نقرأه في نص إصلاحات أنسي دويلة لكش المدعو (أورو– أنمكينا):

"تعاقد مع الإله ننكرسو(١٢١)، على أنه لن يسلّم اليتيم والأرملة للرجل القويّ"(١٢٢)، في بدايات العصور التاريخية بدأت الديمقراطية البدائية تتلاشى شيئاً فشيئاً، وحل مكانها الحكم الفردي (المستبد)(١٢٣)، بسبب آلية عمل المجلس التي تتطلب تحقيق الإجماع الكلي، الذي لم يكن يتم التوصل إليه بسرعة وسهولة(١٢٤)، في ظل الأزمات البيئية والبشرية الطارئة التي تحيط بدولة المدينة "كالحرب أو الفيضان المفاجئ أو تفشي الوباء"(١٢٥)، والأعمال ذات الغايات الخطيرة(١٢٦)، ولاسيما تعرض البلاد (بلاد سومر)، لهجوم من الخارج، لذا كانت السلطة تعطى إلى شخص يسمى لوكال(Lugal)(١٢٧)، وهي وظيفة حربية غير دائمة، تنتهي بزوال الأزمة الطارئة والخطر الذي يهدد دولة المدينة، تسحب السلطة من اللوكال وتعود إلى المجلس(١٢٨). لكن دياكونوف يرى: أن لقب (أنسي) و (لوكال) قد وجدا في وقت واحد، إذ يؤكد أن بعض دويلات المدن السومرية كان يحكمها لوكال وبعضها الآخر تحكم من قبل أنسي(١٢٩). وفي مدينة (كيش) مثلاً نجدها تحكم مرة من قبل (لوكال) ومرة أخرى من قبل (أنسي)(١٣٠)، ويبدو أن لقب لوكال (الملك) استعمل للإشارة إلى الأشخاص الذين حكموا(١٣١)، دويلات المدن السومرية خلال عصور فجر السلالات المبكرة (٢٩٠٠– ٢٣٧١ ق.م)(١٣٢)، كما في جداول الملوك السومريين، حينما أعطت لقب لوكال (ملك) لكل من حكم المدن، قبل الطوفان وبعده(١٣٣)، ويقدم (Hallo) دليلاً على أن لقب (لوكال) "استعمل قبل عهد أورنانشة–Ur Nanše (عصر فجر السلالات الثالث/٢٦٠٠ – ٢٣٧١ ق.م) بأربع مواقع: أوروك وجمدة نصر وأور وشروباك (تل فارة)"(١٣٤)، وهناك إشارة أخرى إلى أن استعمال مصطلح (لوكال) أول ما ورد مكتوباً على ختم في قبر لملكة غير معروفة في مدينة أور، وبعد ذلك استعمل في نصوص مدينة الوركاء المتأخرة(١٣٥). ويذكر دياكونوف: "إدارة الدولة السومرية في عصر السلالة الأولى (عصر فجر السلالات الأول/ ٢٩٠٠ – ٢٨٠٠ ق.م) ترأس من قبل حاكم يحمل لقب (أنسي) أو (لوكال)"(١٣٦). من هذا نستشف أن وظيفة (لوكال) وظيفة حربية غير دائمة، يتقلدها قائد عسكري أوقات الحروب والهجمات الخارجية على دويلة المدينة السومرية، وأن تلك الوظيفة كانت قائمة جنباً إلى جنب مع وظيفة الحاكم المدني (الأنسي) الدائمية. لكن نزاعات دويلات المدن المستمرة(١٣٧)، على الحقول الخصبة(١٣٨)، ومصادر المياه، وتجفيف المستنقعات وإقامة مشاريع الري، فضلاً عن

تامين طرق التمويل (التجارة)، جعل المُلكية دائمة في بعض المدن(١٣٩، من هنا بدأت سلطة الملك الفردية تتعاظم رويداً رويدا، تعززها التحديات البيئية والبشرية (الداخلية والخارجية)، المستديمة في أرض السهل الرسوبي، وحاجة الناس إلى الشخص الكفؤ الذي يقود الاستجابة. ومن هنا تحولت السلطة السياسية إلى نظام ملكي وراثي مستبد(١٤٠). وقد بحث دياكونوف تلك المسألة وخرج بنتيجة أكدت أن عمل المجالس في تلك العصور التاريخية ظل مستمراً إلى جانب سلطة الملك (لوكال) المتعاظمة، ويقدم الأدلة على ذلك بتحليل مدونات الملك مانشتوسو–Man (ištušu)، كما تشير قصة حرب الملك نرام–سين (Naram–Sin) مع حاكم كيش إلى وجود مجلس العوام (مجلس المحاربون)، وفي عهد الملك كوديا تَرِد إشارة إلى (مجلس الشيوخ)، فضلاً عن دورهما الملحوظ في عهد حمورابي (Hammurabi)، بعد ذلك أصبح دورهما خاص بالإدارة المحلية(١٤١)، ومن الجدير بالإشارة أيضاً أن لقب ووظيفة (الإنسي)، لم تنتهي أو تلغى تماماً، وإنما حصل تطور في شكل نظام الحكم، وحدثت تبدلات في طبيعتها، نتيجة التطورات الاجتماعية واتساع المجتمع، فبعد أن كان الشخص الأكثر شجاعةً بين أفراد المجتمع أو شيخ القبيلة أو الحكيم من يمثل نخبة المجتمع؛في ظل نشوء الديمقراطية البدائية (حوالي منتصف الألف الرابع ق.م)، أصبح رجال الدين النخبة. متخذين من "الأين" لقباً لهم، إذ جمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية، ومن ثم حل تطور آخر، تمثل السلطة الدينية عن الدنيوية، في بدايات العصور التاريخية (حوالي ٢٩٠٠ ق.م)، إذ وجد لقب "الأنسي" للحاكم الدنيوي (أي الحاكم المدني). بعد ذلك بدأ حكام دويلات المدن ممن تجاوزت سلطتهم ونفوذهم مدنهم إلى دويلات مدن أخرى، يتخذون لقب لوكال (الملك)(١٤٢)، الذي يشير إلى التطور الحاصل في هيكل دولة المدينة من حيث القوة والسعة والعظمة(١٤٣)، أي أنه مرتبط بالقوة الأرضية(الجيوبولتيك–Geopolitic) لكل دولة من دويلات المدن السومرية. ومما يكد كلامنا على أن اتخاذ لقب (لوكال) لم يُلغي لقب (أنسي)، وإنما أصبح أكثر أهميةً منه. ما جاء في نص للملك سرجون الأكدي:

"سرجون ملك أكد، مشكيمإينانا، ملك كيش، كاهن الإله آن، ملك البلاد، أنسي أنليل العظيم"(١٤٤)،

ونقرأ أيضاً في لعنة أكد أن البضائع التجارية (من سلع ومواشي)، كان يؤتى بها إلى الملك نرام– سين، وأن العيلاميون والسوباريون يحملون الأحمال كأنهم حمير تحمل أثقالا، ونقرأ أيضاً:

"جميع الأنسيين (أي الحكام) والـ (السانجا)

ومحاسبو (جوادينا) يأتون بهداياهم مباشرة لـ أكد"(١٤٥)،

صار لزاماً على الجماعة الرجوع إلى الفئة القليلة في اغلب شؤونهم الحياتية، إذ لم يعد بإمكان الفلاح أن ينظم عمله الزراعي بنفسه كما كان الحال عليه في العصور الحجري الحديث (٩٠٠٠/٨٠٠٠ – ٥٦٠٠ ق.م)، بل أصبحت واجباته أكثر، وأصبح لزاماً عليه التكاتف مع غيره من أبناء مجتمعه لغرض تنظيم الري الذي يعد شرطاً أساسياً لوجود المجتمع وديمومته الحضارية، إذ لم يعد بمقدوره التصرف بمياه الإرواء لوحده، دون الرجوع إلى الزعماء من أصحاب الشأن لتحديد مقادير الإرواء وفصولها، فوجدت أعمال السخرة الجماعية لصيانة السدود والقنوات، وكانت تلك الأعمال تتم تحت قيادة وتنظيم القادة أصحاب السلطة المطلقة التي لا تقاوم(١٤٦)، الذين أصبحوا أعلى طبقة ارستقراطية في المجتمع(١٤٧)،

أستمر دور النخبة الحضاري في العصور التاريخية لبلاد الرافدين كما بينا، وتتسع واجباتهم وتتعاظم، ويتوثق مصير الحضارة بهم. لدرجة إنهم عرفوا بـ "صناع الحضارة"(١٤٨)، حتى سقوط الدولة البابلية الحديثة ٥٣٩ ق.م(١٤٩)،

الاستنتاجات:

١.تولت النخبة قيادة الجماعات الإنسانية للرد على مختلف التحديات الطبيعية والبشرية وإظهار الاستجابات المناسبة والعمل على تواصلها والارتقاء بها لتحقيق النجاحات والمنجزات الحضارية المختلفة.

٢.لعبت النخبة في بلاد الرافدين بما تملك من ملكة فكرية وقدرات عقلية وخبرات حياتية دوراً محورياً في التأسيس لنشوء المؤسسات وتنظيم المجتمعات والتخطيط لسير حياتهم والحفاظ على النظام الاجتماعي فيها.

٣.لا يمكن أن نُغفل دور العناصر المجتمعية في بلاد الرافدين (عامة الشعب)، وإسهاماتها الحضارية، فالنهضة الحضارية التي شهدتها بلاد الرافدين لم تكن فقط بقوة المبادئ الفكرية لصفوة المجتمع (النخبة – الأقليات الحاكمة)، وإنما بإسهامات ونشاطات العناصر المجتمعية، وتقبلها لأفكار النخبة وأساليب التعامل معها.

٤.تعزز دور النخبة في بلاد الرافدين أكثر منه في أي زمان ومكان في المجتمعات والحضارات الأخرى المعاصرة لها، بسبب التحديات البيئية والبشرية ذات الطابع الديناميكي، التي أنتجت حضارة حيوية.

الهوامش:

(١) النخبة: "استعمل مصطلح النخبة **(Elite)**، في الحقل الثقافي الغربي في القرن السابع عشر الميلادي، للدلالة على السلع المتفوقة والمتميزة من حيث الجودة والإنتاج، وبعد ذلك أطلق المفهوم على الوحدات العسكرية الخاصة وفئة النبلاء المتميزين، ولم ترد كلمة النخبة في اللغة الإنجليزية، إلا في قاموس أكسفورد**(Oxford)** سنة ١٨٢٣م للدلالة على فئات اجتماعية متميزة وخاصة. بيد أن استعمال الكلمة – ميدانيا وواقعيا– لم يتحقق إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أما امتدادات المفهوم في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فقد كان في سنة ١٩٣٠م، بعد انتشار نظريات النخبة، وخاصة نظرية فلفريدو باريتو – V.Pareto". جميل حمداوي، سوسولوجيا النخب (النخبة المغربية أنموذجاً)، ط١، شبكة الألوكة، (د.م – ٢٠١٥م)، ص١٤؛

Dictionary Oxford Word Power, Second Edition, (New York – 2006), P 254.

أما عن أهم المدارس والعلماء الذين جذّروا لمفهوم النخبة، فهم: فيلفريدو باريتو (Vilfredo Pareto) الذي يعد أول من أهتم بمفهوم النخبة في المجالين الاجتماعي والسياسي، و رايت ميلز(C. Wright Mills) السوسيولوجي الأمريكي وأحد أهم المنظرين لمفهوم النخبة، فضلاً عن جايتانو موسكا (Gaetano Mosca)، رائد المدرسة الإيطالية النخبوية، إذ اهتم بدراسة النخبة السياسية على وجه التحديد، أما الرائد الآخر فهو روبرت ميتشيلز (Robert Michels) رفيق جايتانو موسكا في المدرسة الإيطالية، وكذلك توماس بورتونبوتومور (Thomas Burton Bottomore) فهو من السوسيولوجيين الماركسيين، فضلاً عن أور سياجي (Ursjaeggi) الباحث السويسري الذي جذر لمفهوم النخبة أيضاً. للمزيد أنظر: جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب...، ص ص٢٩–٥٦.

(٢) فارس رابح، الإنسان والحضارة، مجلة آفاق عربية، عدد (١٢)، بغداد ١٩٨٣م، ص ص٣٠–٣١.

(٣) حامد حمزة حمد الدليمي، المنهج الفلسفي في كتابة التاريخ (دراسة تحليلية في علاقة التاريخ بالفلسفة ونشأة فلسفة التاريخ)، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، عدد (١)، مج١، واسط، ٢٠٠٥م، ص ص١٣٠–١٣٢.

(4) Adam Kuper, The Invention of Primitive Society (Transformation of an Illusion), (New York – 1988), PP 4–5.

(٥) آشلي مونتاكو، المليون سنة الأولى من عمر الإنسان، ترجمة رمسيس لطفي، مؤسسة سجل العرب، (القاهرة – ١٩٦٥م)، ص١٢٣.

(٦) فارس رابح، الإنسان والحضارة، ص٣٠.

(٧) هاشم محمود الإقداحي، علم اجتماع السياسة، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية – ٢٠٠٩م)، ص١٠٢.

(٨) منح خوري، التأريخ الحضاري عند توينبي، ط١، دار العلم للملايين، (بيروت– ١٩٦٠م)، ص٣٥.

(٩) هاشم الاقداحي، علم اجتماع السياسة، ص٩٣.

(١٠) هاشم يحيى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت – ٢٠٠٧م) ص٣٩٣.

(١١) أرنولد توينبي، بحث في التأريخ، اختصر المجلدات الستة الأولى د. سي. سمرفل، ترجمة طه باقر، ط١، دار الوراق، (بيروت–٢٠١٤م)، ج١، ص٣٨٤.

(١٢) المصدر نفسه والجزء، ص٣٨٢.

(١٣) محمود زايد، سيرة الفكر التاريخي عند توينبي، مجلة المؤرخ العربي، عدد (٧)، ١٩٧٤م، ص٤٩.

(١٤) زياد عبد الكريم النجم، توينبي ونظرية التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية أنموذجاً)، ط١، الهيئة السورية العامة للكتاب، (دمشق–٢٠١٠م)، ص٢٤٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص٢٤٨.

(١٦) جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب...، ص٤.

(١٧) هاشم يحيى، المفصل في فلسفة التاريخ، ص٣٩٣.

(١٨) توينبي، بحث في التاريخ، ج١، ص٣٨٣.

(١٩) هاشم الاقداحي، علم اجتماع السياسة، ص١٠٢.

(٢٠) جايتانو موسكا: ولد في عام ١٨٥٨م، صحفي ومحلل سياسي إيطالي وأستاذ القانون الدستوري في جامعة تورينو، وأحد أهم الرواد الثلاثة الذين أسسوا المدرسة الإيطالية التي جذرت لنظرية النخبة، جنباً إلى جنب مع باريتو وروبرت ميشيل، ومن أبرز مؤلفات جايتانو موسكا "عناصر العلوم السياسية". للمزيد أنظر:

Gaetano Mosca, ElementidiScienzaPolitica, Second Edition, (Torino – 1923).

(٢١) جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (بيروت – ٢٠٠٩م)، ص٣٦٢.

(٢٢) الطبقة (Class): "مجموعة من الأفراد الذين يتقاسمون وظيفة ونمط حياة وإيديولوجيا...إلخ" للمزيد أنظر: يانيكلوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، دار الكتب الجديدة المتحدة، (بيروت – ٢٠٠٨م)، ص١٣.

(٢٣) جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب...، ص٧.

(٢٤) عزيز لزرق، محمد الهلالي، دفاتر فلسفية ونصوص مختارة، ط١، دار توبقال للنشر، (الدار البيضاء – ٢٠١٠م)، ص٢٦.

(٢٥) هاشم الاقداحي، علم اجتماع السياسة، ص١٤٢.

(٢٦) منح خوري، التاريخ الحضاري...، ص٣٦.

(٢٧) محمد خميس الزوكة، البيئة ومحاورها وتدهورها وآثارها على صحة الإنسان، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية – ٢٠٠٢م)، ص٨٢.

(٢٨) غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، دار المعارف بمصر، (القاهرة – ١٩٥٧م)، ص١٦٣.

(٢٩) هاشم يحيى، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ص٣٩٣-٣٩٤.

(٣٠) جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب...، ص٨.

(٣١) كولن ولسون، سقوط الحضارة، ترجمة أنيس زكي حسن، دار العلم للملايين، (بيروت – ١٩٥٩م)، ص١٥٠.

(٣٢) توينبي، بحث في التاريخ، ج١، ص ص٣٨٦-٣٨٧.

(٣٣) توينبي، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ط٢، الأهلية للنشر والتوزيع، (بيروت-١٩٨٨م)، ج١، ص٧٦.

(٣٤) منتهى عبد جاسم، دراسات في فلسفة الحضارة، مجلة دراسات فلسفية، عدد (٣٠)، بغداد ٢٠١٢م، ص١٢٦.

(٣٥) زياد النجم، توينبي...، ص ص٢٤٩-٢٥٠.

(٣٦) كولن ولسون، سقوط الحضارة، ص١٥١.

(٣٧) أكرم محمد عبد كسار، مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق القديم (منذ أواخر الألف السادس ق.م حتى بداية النصف الثاني من الألف الخامس ق.م)، مجلة سومر، مج٤٥، بغداد ١٩٨٨م، ص٢٤٨.

(38) Adam Kuper, The Invention of Primitive Society..., p6.

(39) Gwendolyn Leick, Historical Dictionary of Mesopotamia, Second Edition, (United Kingdom – 2010), p Xiii.

(٤٠) مجمع الآلهة: يرأسه الإله آنو، وإلى جانبه مجموعة من الآلهة العظام، أقل منه مرتبةً، ومن هؤلاء الآلهة "أنليل وننار وأوتو وأنانا". للمزيد حول تفصيلات مجمع الآلهة أنظر:

Stephen Herbert, The Mythology of All Races, (New York – 1964), Vol. 5, PP 88-165.

(٤١) دينيس لويد، فكرة القانون، ترجمة سليم الصويص، سلسة عالم المعرفة، (الكويت – ١٩٨١م)، ص٢٥.

(٤٢) ايكيكي (Igigi): هم الآلهة السماوية الذين ناصروا الإله مردوخ في صراعه مع تيامت (تيامه). رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة الأب ألبير و وليد الجادر، ط٢، وزارة الثقافة، (بغداد – ٢٠١٣م)، ص٤٣٩.

(٤٣) انوناكي (Anunnaki): هم الآلهة الأرضية الصغيرة، يقتصر دورهم على محاكمة الموتى في العالم الأسفل وتقرير مصيرهم.

Michael Jordan, Dictionary of Gods and Goddesses, Second Edition, (New York – 2004), P 23.

(٤٤) جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، ط١، مركز الإنماء الحضاري، (حلب – ٢٠٠٥م)، ص٧٣.

(٤٥) دينيس لويد، فكرة القانون، ص ص٢٥–٢٦.

(٤٦) توينبي، بحث في التاريخ، ج١، ص٣٧٨.

(٤٧) عبد علي سلمان، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، مطبعة جامعة الموصل، (الموصل – ١٩٨٥م)، ص٩٨.

(٤٨) جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، (دمشق – ١٩٥٨م)، ص٢٨.

(٤٩) روبرت م. ماكيفر، تكوين الدولة، ترجمة حسن صعب، ط٢، دار العلم للملايين، (بيروت – ١٩٨٤م)، ص ص٤١–٤٢.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ص٤٢–٤٥.

(٥١) حمد الطفيلي، الجغرافية الاجتماعية (المفاهيم والمنطلقات)، ط١، دار المنهل، (بيروت – ٢٠٠٩م)، ص١٩.

(٥٢) روبرت م. ماكيفر، تكوين الدولة، ص ص٤٥–٤٦.

(٥٣) حمد الطفيلي، الجغرافيا الاجتماعية، ص١٠.

(٥٤) روبرت م. ماكيفر، تكوين الدولة، ص ص٥٢–٥٣.

(٥٥) حمد الطفيلي، الجغرافيا الاجتماعية، ص١٩.

(٥٦) المصدر نفسه، ص١٠.

(٥٧) غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ترجمة أسامة اسبر، ط١، المنظمة العربة للترجمة، (بيروت – ٢٠١٣م)، ص ص١٠١–١٠٢.

(٥٨) جورج بالانديه، الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة على المصري، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، (بيروت – ٢٠٠٧م)، ص٥٤.

(٥٩) السلطة: هي "القوة الطبيعية والحق الشرعي في التصرف وإصدار الأوامر في

مجتمع معين". عبد علي سلمان، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ص٩٥.

(60) H. G. Wells, The Outline of History, (New York – 1920), Part I, p 37.

(٦١) آشلي مونتاجيو، المليون سنة الأولى...، ص١٩٣.

(٦٢) روبرت م. ماكيفر، تكوين الدولة، ص٥٣.

(٦٣) للمزيد حول سلطات النخبة وأشكالها أنظر: جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص ص٢٨-٣١.

(٦٤) روبرت م. ماكيفر، تكوين الدولة، ص٥٤.

(٦٥) حمد الطفيلي، الجغرافية الاجتماعية...، ص١٩.

(66) Adam Kuper, The Invention of Primitive Society..., p16.

(٦٧) عبد علي سلمان، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ص٩٩.

(٦٨) هاشم الاقداحي، علم اجتماع السياسة، ص١٥٥.

(٦٩) يحدث أن تنشأ في الجماعات البشرية امتيازات بين الأفراد أو مجموعات من الأفراد. للمزيد أنظر: آشلي مونتاجيو، المليون سنة الأولى...، ص ص١٠١-١٠٣.

(٧٠) جان سوريه كانال وآخرون، حول نمط الإنتاج الآسيوي، ترجمة جورج طرابيشي، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٧٨م)، ص١٩٥.

(٧١) إيمان هاني العلوش، طبقات المجتمع الآشوري في ضوء المصادر المسمارية، مجلة دراسات موصلية، عدد (٣٠)، الموصل ٢٠١٠م، ص٨٥.

(٧٢) إسحاق عظيموف، البدايات (قصة نشوء الإنسان – الحياة – الأرض – الكون)، ترجمة ظريف عبد الله، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة – ٢٠٠١م)، ص٤٣.

(٧٣) غوستاف لوبون، السنن النفسية...، ص٥٧.

(74) Charles Gates, Ancient Cities (the Archaeology of Urban Life in the Ancient Near East and Egypt, Greece and Rome), Second Edition, (London – 2011), pp 28-29.

(٧٥) غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ص ص١١٤-١١٥.

(٧٦) هاشم الاقداحي، علم اجتماع السياسة، ص١٤٢.

(٧٧) جميل حمداوي، سوسيولوجيا النخب...، ص٩.

(٧٨) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد، (بغداد – ١٩٨١م)، ق١، ص٢١٥.

(٧٩) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، ط٢، دار مكتبة الحياة، (بيروت – د.ت)، ص٩٢.

(٨٠) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي...، ق١، ص٢١٦.

(٨١) الديمقراطية البدائية: يعود المقال الذي أفصح فيه ثوركلد جاكوبسن عن نظريته إلى مقررات اجتماع الجمعية الأمريكية الشرقية المنعقد في شكاغو عام ١٩٤١م، وكتب نظريته في بحث بعنوان " Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia" في " Journal of Near Eastern Studies" عام ١٩٤٣م، ولاقت قبولاً واسعاً بين أوساط الباحثين المختصين في تاريخ الحضارات القديمة عامة وتاريخ حضارة بلاد الرافدين خاصة، وعلى الرغم من بعض الانتقادات التي وجهت لبعض فقراتها، لكنها لم تدحض إلى وقتنا الحاضر، وقد عدل وأضاف عليها علماء كثر أمثال صموئيل نوح كريمر وهنري فرانكفورت ودياكونوف وفلنكنشتاين وجيفري إيفناس وغيرهم. للمزيد حول الديمقراطية البدائية أنظر:

Thorkild Jacobsen, Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, JNES, Vol. 2, No. 3, 1943, PP 159-172.

(82) Stephen Bertman, Hand Book to Life in Ancient Mesopotamia, (New York – 2003), p65.

(٨٣) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة...، ص٩٢.

(٨٤) ثوركلد جاكوبسن، أرض الرافدين، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت – ١٩٨٢م)، ص١٧٧.

(85) Charles Gates, Ancient Cities..., p2.

(٨٦) الدولة الكونية: اعتقد الإنسان العراقي القديم إن دولته البشرية تتبع إلى دولة كبرى تتمتع بالسيادة الحقيقية والكاملة، وتكون مستقلة عن كل سيطرة خارجية، دعاها بـ (الدولة الكونية)، يحكمها مجمع الآلهة. ثوركلد جاكوبسن، أرض الرافدين، ما قبل الفلسفة، ص٢١٩.

(٨٧) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي...، ق١، ص ص٢١٦-٢١٧.

(٨٨) ثوركلد جاكوبسن، أرض الرافدين، ما قبل الفلسفة، ص٢١٤.

(٨٩) غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ص١١٦.

(٩٠) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة...، ص٩٢.

(91) Adam Kuper, The Invention of Primitive Society..., p5.

(٩٢) جاءت مفردة مجلس بالسومرية تحت صيغة (أوكيّن/UKKIN)، وبالأكدية بصيغة (بُخُر/Pu ru).

Cad, Vol. 12, P 485.

(٩٣) معاذ حبش خضر العبادي، المجالس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٢م، ص ص١٦-١٧.

(٩٤) ثوركلد جاكوبسن، أرض الرافدين، ما قبل الفلسفة، ص١٧٥.

(٩٥) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل – ١٩٧٩م)، ص٥٧.

(٩٦) صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ط١، دار الوراق،(بيروت – ٢٠١٠م)، ص٩٠.

(٩٧) منصب الأين (EN) كان على صلة وثيقة بمدينة الوركاء، وبقى على صلة بها لاعتبارات دينية بحتة. مصطفى وداي متعب، النظرية الدينية في تكوين دولة المدينة السومرية (٢٨٠٠ – ٢٣٧٠ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٣م، ص١٩٨.

(٩٨) هاري ساكز، عظمة بابل، ص٥٧.

(99) Andrew George, The Epic of Gilgamesh (A New Translation), (New York – 1999), P43.

(١٠٠) توينبي، تاريخ البشرية، ج١، ص٧٩.

(١٠١) مثلت دويلات المدن الخلايا التي كونت الدولة فيما بعد. دياكونوف، ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم، ضمن كتاب العراق القديم (دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية)، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الحرية، (بغداد – ١٩٧٦م)، ص٢٧٢.

(١٠٢) ليونارد وولي، وادي الرافدين مهد الحضارة (دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ)، ترجمة أحمد عبد الباقي، مكتبة المثنى، (بغداد – ١٩٤٧م)، ص٣٦.

(١٠٣) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل – ١٩٩٣م)، ج١، ص١٣٩.

(١٠٤) صموئيل نوح كريمر، السومريون (تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم)، ترجمة فيصل الوائلي، ط١، دار البصائر، (بيروت – ٢٠١٢م)، ص٢٢.

(105) Robert. Mcc. Adams, Land Behind Baghdad, (Chicago – 1965), Part. I, p 4.

(١٠٦) ليونارد وولي، وادي الرافدين...، ٣٥.

(١٠٧) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي...، ق١، ص٢٢٠.

(١٠٨) فاضل باقر الحسيني، تطور مناخ العراق عبر الأزمنة الجيولوجية والعصور

التاريخية، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مج ١٠، بغداد ١٩٧٨م، ص٣٨٦.

(109) Katherine Reece, Ancient Civilization the Mesopotamians Conquerors of the Middle East, (Floridaa – Without the history of printing), p 6.

(١١٠) توينبي، تاريخ البشرية،ج١، ص٧٨.

(١١١) ومن الجدير ذكره إن زيادة الإنتاج الزراعي وتراكم الثروات تؤدي إلى تطور النخب. غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ص١١٧.

(١١٢) توينبي، تاريخ البشرية، ج١، ص ص٧٨-٧٩

(١١٣) هاشم الإقداحي، علم الاجتماع...، ص ص١٧٦-١٧٧.

(١١٤) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج١، ص١٩٢.

(١١٥) مصطفى وداي، النظرية الدينية...، ص٢١٤.

(١١٦) ثوركلد جاكوبسن، أرض الرافدين، ما قبل الفلسفة، ص ص٢٢٠-٢٢٢.

(117) Stephen Bertman, Hand Book to Life..., p65.

(١١٨) فوزي رشيد، خلق الإنسان في الملاحم والأساطير السومرية والبابلية، مجلة آفاق عربية، عدد (٩)، بغداد ١٩٨١م، ص٢٠.

(١١٩) ثوركلد جاكوبسن، أرض الرافدين، ما قبل الفلسفة، ص٢٢٣.

يعني أسم (الأنسي – Ensi) الحاكم من عند الإله أو الحاكم بأمر الإله. هنري فرانكفورت، فجر الحضارة...، ص٩٤.

(١٢٠) هاري، ساكز، عظمة بابل، ص٥٧.

(١٢١) ننكرسو (Ningirsu): إله مدينة كرسو التابعة لدويلة لكش، هو إبن الإله أنليل، يعد حامي لكش ومثبت حدودها والمسئول عن الإخصاب فيها.

Gwendolyn Leick, A Dictionary of Ancient Near East Mythology, (London and New York – 1991), PP 130-131.

(١٢٢) ثوركلد جاكوبسن، أرض الرافدين، ما قبل الفلسفة، ص ص٢٢١-٢٢٣.

(123) Thorkild Jacobsen, Primitive Democracy..., P172.

(١٢٤) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي...، ق١، ص٢٥٧.

(١٢٥) عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج٢، ص٢٤.

(١٢٦) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة...، ص٩٣.

(١٢٧) ومعنى أسمه "الرجل الكبير أو رب البيت". هاري ساكز، عظمة بابل، ٥٨؛ أو "الرجل العظيم".

Stephen Bertman, Hand Book to Life..., p 65;

يعتقد الأستاذ هاري ساكز أن السومريين في (دور جمد نصر – الوركاء الطبقة الثانية والثالثة/٣٠٠٠ – ٢٩٠٠ ق.م) كانوا يجتمعون في مدينة (نيبور– لأنها مكاناً مقدساً)، لاختيار قائد في أوقات الأزمات الطارئة، لكن بعد عصر فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠–٢٦٠٠ ق.م)، وبعد انتشار إقامة أسوار المدن، اخذ الجانب الدفاعي يتخذ الطابع الفردي– أي كل دولة مدينة بدأت تأخذ على عاتقها مهمة الدفاع عن كيانها ضد أي اعتداء خارجي، وظهرت النزاعات والصراعات بين دويلات المدن نفسها. عظمة بابل، ص٥٨.

أو"رئيس الأسرة العظيم"، وهذه ترجمة جديد للقب "لوكال". ثوركلدجاكبسون، أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة)، موسوعة تاريخ الأديان، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ط١، دار علاء الدين، (دمشق – ٢٠٠٤م)، ص١٥٤. وتترجم عادة بـ "الملك".

ð °íˆî. íí , ˆÐ ß
ˆ ´ ¨ ´Ð ˆ Ð ˆˆ ˜ˆ
ˆˆ ˆˆ , (íðî – 2010), p
42.

(١٢٨) هاري ساكز، عظمة بابل، ص٥٨.

(١٢٩) ظهور الدولة الاستبدادية...، ضمن كتاب العراق القديم، ص٢٧٦.

(١٣٠) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي...، ق١، ص٢٤٨.

(١٣١) من الجدير ذكره أن لقب (لوكال) استخدم في تركيب أسماء بعض آلهة بلاد الرافدين، فيقال مثلاً: "أنو ملك البلاد أو الأراضي".

Gwendolyn leick, A Dictionary of Ancient..., P 5.

(132) Stephen Bertman, Hand Book to Life..., p 65.

(١٣٣) حول جداول الملوك السومرية وإعطائها لقب ملك للحكام الذين حكموا دويلات المدن السومرية قبل الطوفان وبعده أنظر:

Thorkild Jagobsen, The Sumerian King List, (Chicago – 1939).

(١٣٤) مصطفى وداي، النظرية الدينية...، ص٢٢١.

(١٣٥) هيفاء أحمد عبد الحاج محمد، ألقاب حكام وملوك العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٧م، ص٦٦.

(١٣٦) ظهور الدولة الاستبدادية...، ضمن كتاب العراق القديم، ص٢٧٥.

(137) Stephen Bertman, Hand Book to Life..., p66.

(138) Charles Gates, Ancient Cities..., p31.

(١٣٩) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة...، ص ص٩٣-٩٤.

(١٤٠) معاذ العبادي، المجالس في العراق...، ص ص١٧-١٨.

(١٤١) ظهور الدولة الاستبدادية...، ضمن كتاب العراق القديم، ص ص٢٧٩-٢٨١.

(١٤٢) هاري ساكز، عظمة بابل، ص٦٣؛ دياكونوف، ظهور الدولة الاستبدادية...، ضمن كتاب العراق القديم، ص٢٧٧.

(١٤٣) مصطفى وداي، النظرية الدينية...، ص

(١٤٤) صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم...، ص٤٤٤.

(١٤٥) المصدر نفسه، ص ص٣٨٧-٣٨٨.

(١٤٦) توينبي، تاريخ البشرية، ج١، ص٧٩.

(١٤٧) دياكونوف، ظهور الدولة الاستبدادية...، ضمن كتاب العراق القديم، ص٢٧٤.

(148) Stephen Bertman, Hand Book to Life..., p73.

(١٤٩) جورج رو، العراق القديم، ص٥١٨.